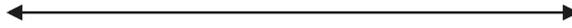


رجاب عمر بن الخطاب

العمرية في



**الفصل الأول :**



**العمرية ودوافع الكتابة**

العمرية في ← رهاب عمر بن الخطاب

## العمرية ودوافع الكتابة

حينما نود الكتابة عن شخصية ما ، تكون هناك دوافع دفعت أو حركت الرغبة في الكتابة ، تلك الدوافع إما أن تكون متعلقة بالشخصية المكتوب عنها أو متعلقة بشخصية الكاتب ، أو بالظروف الحاضرة التي من شأنها استدعاء سيرة الشخصية لقضاء وطرا ما .

أما فيما يخص الشخصية المكتوب عنها ، فالدافع أن يزح عنها غبنٌ وقعَ عليها كأن تكون قد ظلمت من أبناء زمنها وجيلها ولم تنل ما تستحقه من تقديرٍ وعرفانٍ ، نظير ما قدمته للإنسانية . وكثيرة تلك الشخصيات التي ظلمت بسبب عدم الاحتكام إلى المعايير الموضوعية ، وكان سيذُ الموقف آنذاك - التعصب أو الهوى أو الغيرة والحقد ، وتتواتر الأجيال بعد ذلك على اتخاذ هذا الموقف الظالم من الشخصية .

وتواتر الأجيال على الظلم أخطر ما يكون ، لأنه إذا كان الذين عاصروا تلك الشخصية قد أوتعوا ظلماً وهضماً ، فقد فعلوا ذلك ، وفعلهم يستند إلى دوافع وسواء كانت تلك الدوافع مبررة أو غير مبررة ، تحتكم إلى العقل أو تندفع مع الهوى فهي في نهاية الأمر دوافع دفعتهم إلى اتخاذ هذا الموقف المتجنى من الشخصية أما الأجيال التالية فليس هناك من دافع لها سوى الكسل العقلي وفتور الهمة وخراب الذمة ، واعتمادهم وتواكلهم على أقوال السابقين بدون فحص أو تمحيص. ويشتركون في الوزر مرتين؛ مرة لأنهم ردوا ما كان يردده السابقون كاللبغاوات العجاوات ، ومرة ثانية أنهم ظلّموا ويظل الأمر على هذا ، إلى أن يقبض الله شخصاً ينصف المظلوم ، ويكشف الغبن ، وينسب الفضل إلى أهله .

✍ أما من ناحية الكاتب نفسه ، فقد يدفعه إلى الكتابة حبُّه للشخصية لأنها تجسم وتحقق المثل العليا التي ينشدها هو وأبناء جيله لاسيما وإن عرَّ وجود مثل تلك الشخصية في الوقت الراهن ، فما عجز عن التماسه في الحاضر قد يجده في الماضي .

✍ أما من ناحية الظروف الحاضرة التي استدعت سيرة الشخصية فقد تنزق أمة أو جماعة ما إلى خطأ ، ويضيع منها السبيل وتضلُّ ، ولا تدرى من أين وإلى أين الخروج من هذا التيه والضلال وتختلط في نظرها الأمور وتتشابك ويلتبس الحقُّ بالباطل . حينئذٍ تشتدُّ حاجةُ الجماعةِ إلى من يخرجها من هذا المأزقِ إلى من يلقي إليها طوق النجاة، إلى من يضيء لها ليلها المظلم المدلهم ، إلى من يهديها سبل الرشاد والسلام .

✍ تلك الظروف الحرجة التي تحيط بالأمة وتحقق بها ، تستدعي الشخصية التاريخية بقوة وإلحاح ؛ لتقتبس الأمة من أنوارها الهادية ، وتتعلم من نظرتها الثاقبة ، وتسير على هدى من فكرها العميق .

وقد يسخرُ ساخرٌ من منطقي هذا ، قائلا :

ما شأن هذا الرجل الذي يبحث في القبور عن من يخرج أمتَه من مأزقها أو يتصفح سجلات وكتب التاريخ التي علاها الغبار ، ولبيت صفحاتها ، ونابت حرءُها ، واتخذتها العتَّة طعامًا وزدًا لها ... فما صلح وأصلح الماضي قد لا يصلح ويعجز عن إصلاح الحاضر فقد تغيرت وتطورت الإنسانية بشكلٍ مرعبٍ ورهيبٍ وماذا ستفعل تلك الشخصية أو شخصياتٌ وحكماءٌ وعباقرُ العالم القديم فيما جدَّ من مشكلات ومآزق تعجز شخصيات العالم الحديث بما أوتوا من علم وخبرة ودرية عن حلها ؟! .

وأنا أتفق معه فيما قاله ، وأؤيده ، بل وأدعو إليه .

ولكن من قال إن الإنسانية لم تتقدم وتتطور بدون النظر إلى ماضيها والاستفادة من تلك التجارب والمواقف التي تعرض لها السابقون ؟

إن الذى صنع الحضارة الإنسانية ، وهذا التقدم المذهل تلك السلسلة المترابطة الحلقات من تراكم الخبرات ، إن الإنسانية كانت - ونائما - تستمد من الماضى زناداً وقوة لتنطلق إلى المستقبل .

إذن للتاريخ والتراث وظيفة هامة ، وتتوقف نجاح تلك الوظيفة علينا نحن من خلال نظرتنا له ، فإذا نظرنا إليه كمحتوى ملىء بالخبرات والمواقف التى قد تستثمر لمعالجة وحل مشكلات الحاضر فقد اكتسب أهمية قصوى " إن المحتوى الترشى لا يعنى فقط تحقيقه وحفظه ، بل يعنى - قبل كل شىء - استخلاص المعرفة الكامنة فيه وتحديد مغزها بالنسبة إلى حاضرنا ، وكما يقول يوسف زيدان ( إن الوجود الإنسانى هو عبور دائم من الماضى إلى المستقبل ، وإن كان هناك خلل فى الوعى بالماضى فلن يكون العبور إلى المستقبل إلا خبط عشواء ) " (١) .

على هذا فأى دعوى تدعو إلى بتر الصلة بين الحاضر والماضى بحجة الانطلاق للمستقبل هى دعوى مغرصة ، أصحابها لا يريدون الخير لتلك الأمة ، ويريدون الضلال للإنسانية.

والتاريخ يشتمل على عنصرين ، الأحداث والشخصيات ، وأهمها الشخصيات لأن الشخصية هى التى تحرك وتتحكم فى دفة الأحداث ، فالتاريخ صنعه إرادات وهو فى نهاية الأمر صراعٌ وصدامٌ بين تلك الإرادات ، وأكثر الشخصيات تأثيراً فى التاريخ تلك

١- الفجوة الرقمية - تأليف : د/ نبيل على ونادية حجازى - صفحة (١٠٨) - عالم المعرفة - العدد (٣١٨).

الشخصية التي أوتيت قدرًا من مضاء وصلابة الإرادة ، وطهارة النفس ورقى وسمو الهدف والمقصد " التاريخ العام - تاريخ ما أحدث الإنسان في هذا العالم- إنما هو تاريخ من ظهر في الدنيا من العظماء ، فهم الأئمة ، وهو المكيفون للأمور وهم الأسوة والقُدوة وهم المبدعون لكل ما وفق إليه أهل الدنيا وكل ما بلغه العالم وكل ما تراه قائمًا في هذا الوجود كاملاً متقناً ، فاعلم أنه نتيجة أفكار أولئك العظماء الذين اصطفاهم الله وأرسلهم إلى الناس ليؤدى كل ما ناطته به القدرة الإلهية من الخير. فريح تاريخ العالم إنما هو تاريخ العالم أولئك الفحول ، وظنى أنه مبحث لن يسعه هذا المقام " (١).

وبالنسبة لعمر بن الخطاب فالأمور الثلاثة متوافرة :

فدافع الكتابة يتعلق به ، لأن ما كتب عنه - وهو كثير - لا يتناسب مع ما قدمه للأمة الإسلامية خاصة ، وللإنسانية عامة ، ولم تُستخلص العبرة والحكمة من مواقفه- وإن تم استخلاص النذر اليسير - ولم تُبلور كل مواقفه وتصرفاته ، ولم يُسير غور فكره - وهو عميق - لنخرج من خلال هذا برؤية شاملة أو بمبدأ فلسفى يجمع المتفرقات ، ويللم الشظايا ، فهذا المبدأ من شأنه أن يفسر كأوضح ما يكون التفسير، ويؤول كأشمل ما يكون التأويل تصرفات ووافع الشخصية، وفى دراستنا عن الشخصيات ينبغى لنا أن نبحث أو نستخلص (بؤرة)، أو (نواة) تتجمع فيها كل ما يجعل شخصية ما تختلف عن ملايين الشخصيات ، ما يخلق لها التميز والتفرد ، ما يجعل لها تأثيراً قوياً فى تغيير مجريات الأحداث ، ما يشكل من الشخصية نوعاً من (الحتمية) لفرض إرادتها ، وتأصيل وتعميق فكرها ، وحمل من حواها على تبني أطر منطقتها عن اقتناع وفهم .

١- الأبطال - تأليف : توماس كارلايل - ترجمة / محمد السباعي - صفحة (٧).

وأهمية استخلاص هذا المبدأ ، وما يستند إليه من فكر ما ستنتفع وتنفع الأجيال اللاحقة ، لأنه بمثابة (ريشة) طبية ، فيها توصيف للمرض والدواء وطريقة تعاطيه ، وما ينتج عنه من فوائد ، وما قد يظهر له من أعراض جانبية

وفيما يتعلق بالشخصية ، فأنا أشعر - وأظن أن الكثيرين يوافقوننى بشعور فريد من الإعجاب والإكبار ، ولا أخفى أن هذا الشعور فى بعض الأحيان يجعلنى أرتعد ، ولا أظن أنى فى حاجة أن أزيد على ذلك .

وفيما يتعلق بالأحداث الحاضرة والراهنة التى استدعت تلك الشخصية فأظن أن الحالة التى تعيشها الأمة تدل على أننا ابتعدنا عن الصلاح والرشاد وموقعنا بين الأمم الآن يدل على أننا ضلنا ضلالاً بعيداً ، وأننا ضعنا وأضعنا الكثير الذى من شأنه أن يعصمنا من الخطأ والزلل ، وليت الأمر يقف عند هذا الحد ، فالأمة تنزق داخل نفق مظلم لا تدرى إلى أين يقودها هذا الانزلاق ، هذه الظروف تضغط علينا بقوة وإلحاح أن نتبنى مبدأً أو أسلوباً أو تنظيراً فكرياً ، لا أقول يخرجنا ، وإنما يعطينا الأمل فى الخروج ، ربما هذا الأمل يقوى الإرادات ، ويصحح النيات ويشحذ العزم ويحىي الهمم ؛ فينبض قلبُ هذه الأمة بقوة وتندفع الدماء الحارة فى عروقها ويستيقظ هذا المارد الذى طالبت غفوته وينفض الكرى عن جفونه ، ويزيل تلك الأسمال الرثة البالية عن جسده ، ويستأنف مسيرته المباركة وتنعم الإنسانية بما حُرمت منه من جراء غفوته .

لماذا لم يكن هذا الكتاب عن عمر بن الخطاب ؟

ذلك لأن عمر بن الخطاب لم يعد له وجود الآن ، عاش حيناً من الزمن وتعاطى مع زمنه ، وأبناء جيله ، ومرّ بتجارب ومواقف ، وبدأ كأي شخص لا نذكره ، ثم أصبح ملء

السمع والبصر والفؤاد ، ووصل إلى قمة الدولة الإسلامية ، تزوج وأنجب وطعم وشرب وسعد واغتم ، وسارت به الحياة سيرتها المعتادة ، ثم طعن ومات وطواه الفناء فيمن يطوى .  
إذن الحديث عن شيء فنى نوعاً من العبث ، فأنت هنا تتحدث أو تكتب عن شيء لا وجود له ، شيء كان ولم يعد له وجود .. وكثيرون يغفلون عن تلك البديهة ويبددون الكثير من الوقت والجهد على أنفسهم وعلى القارئ ، فنجد البعض يكتب عن المتنبي أو الغزالي أو الجاحظ أو شوقي أو العقاد ، كل تلك الكتابات لم يصبها التوفيق في جانب كبير منها لأن كل هؤلاء قد ماتوا ، وحديثك عن شيء ميت لا جدوى منه .

وإنما حديثنا وكتابتنا يكون عن الشيء الباقي الخالد من هؤلاء ، الذى بقى من المتنبي هو شعره ، الشيء الذى ينبض بالحياة بين يدي هو أدبه ، أما خلا ذلك فلا قيمة له . سيقول البعض إننا لا نستطيع أن نفهم ونتذوق شعر المتنبي إلا بدراسة المتنبي نفسه .

أظن أن السؤال تضمن الجواب ، أنك تريد أن تفهم وتتذوق شعر المتنبي لا شيء آخر ، إذن أنت تتفق معى أن الهدف والمقصد والغاية شعر المتنبي ، والموصول إلى تلك الغاية والهدف افعَل ما تشاء ، ولكن ينبغى ألا تنسبك الوسيلة الغاية

ولو ظللنا نكتب عن الأموات لما بقى لنا وقت لنحيا كما أراد الله لنا . " ولكن النجاح فى الحركات التاريخية لن يسمى نجاحاً إذا هولم يتجاوز حياة فرد أو طائفة من الأفراد ، فإذا قيل إن حركة من الحركات التاريخية قد نجحت فمعزى ذلك بدهاثة أن الأفراد القائمين بها يذهبون وهى الباقية بعد ذهابهم ، ومن هنا يصح أن يقال إن الأرحية

أبقى وأنجح إذا هي اصطدمت بالمنفعة الفردية لأن ذهاب الفرد هنا أمر مفروغ منه بعد كل حساب سواء كان حساب الأرحيين أم حساب النفعيين" (١).

لذلك فلا يعنيها من عمر إلا ما بقى من عمر على مرّ التاريخ والأجيال وسيبقى إلى أن تغرب شمس هذا العالم الغروب الأبدي "والرجل العظيم لا يزال بعد موته ينبوع نور يتدفق . فليس أحسن من مجاورته شيئاً .. نورا يضيء ، وكان يضيء ظلمات الحياة وليس هو من كواكب الأفق هو كما قلت ينبوع نور يتدفق بالحكمة، ومعاني الرجولة والشرف الكبير وهو الذي في شعاعه أنس الأرواح وروح النفوس ومتعة الخواطر" (٢).

وهذا المتبقى من عمر هو ما صنع عمر ، ولولم يبق ما لهجت به الألسنة في أحلك اللحظات ، وأشد الظروف عسرة وكربة .

ولن نقف أمام كل ما بقى من عمر - فهذا خارج طوقنا - وإنما سنأخذ ما يحتاجه أبناء زماننا ، ما يمكن أن نوظفه لشفاء علة ، أو جبر كسر أو إصلاح خطأ أو تقويم معوج أو توضيح غامض أو جلاء مبهم في حياتنا الحاضرة ، إذن الحاضر وما يموج به من مشكلات وقضايا هو الذي سيحدد زوية النظر أو الوجهة التي سنتهجها .

وينبغي لنا أن نبتعد - ولو مؤقتاً - عن الرفاهية الفكرية ، أو الرفاهية البحثية في الترات ، ألا نبحت لمجرد البحث ، وإنما ينبغي أن نتبنى أسلوباً أو نظرية ، حينما نبحت قضية من قضايا هذا الترات فإننا نبحت ونفتش عن مرجع نركز عليه لتقييم وتقويم ظروفي الحاضرة أولاً وقبل كل شيء ، لأعالج الأمراض الحاضرة على ضوء هذه ( الرئشة ) التي ذكرتها سابقاً .

١- الحسين أبو الشهداء - تأليف : الأستاذ / عباس العقاد صفحة (١١).

٢- الأبطال - تأليف : توماس كارلايل - صفحة (٨).

فمثلاً حينما أقوم بدراسة موقف من مواقف المسلمين الأوّلين ... أنا لا أسرد ما حدث ، فما حدث قد حدث وانتهى ، ولكنى أدرس ظروفى وأحوالى ومواقفى الحاضرة على ضوء موقفهم هم ، ... هل تصرفنا كتصرفهم هل نظرنا إلى الأمور كنظرتهم ، هل تعاملنا مع جزئيات حياتنا اليومية المعتادة والمستجدة كما تعاملوا هل ضحينا بكل شىء فى سبيل هدف سام نبيل كما ضحوا ؟ هل .. هل ؟ ... ؟

أنا هنا لا أستعرض أحداث وأحوال ما مضوا ... لأنّ بفعلى هذا لم أغير شيئاً ولم أضف شيئاً ، سوى نوع من التكرار الممل السقيم ، وهذا خطأ يخطأ فيه الكتّاب وخطباء المساجد أو لنقل بعضهم ، ما يقولونه لاسيما فى المناسبات الدينية - وما أكثرها يقولونه كل آن وحين ، إما عن غفلة أو عن نية مخلصه تنقصها شجاعة نقد الظروف والأحوال الراهنة التى يعيشها المجتمع ، ويؤثرن السلامة على غيرها لأنّ نقد أحوال المجتمع قد تغضب القائمين على أمره ، ونقد أحوال الناس يضيف إلى هموم الكثيره همماً أكبر .

### العُمريّة :

لتلك الأسباب رأيت أن يكون الكتاب باسم (العُمريّة) ، وأقصد به هذا المبدأ أو العقل الجامع أو المزج الذى يملك عمر ويستحوذ عليه ويسير، ويدفعه دفعا واعيا ليفعل هذا ولا يفعل هذا ، ويقول هذا ولا يقول هذا ، غير ناظر بعد ذلك إلى ما يترتب على ذلك من ضررٍ أو نفعٍ ، أو لنقل إنه لا يأبه ولا يكثرث بعد ذلك بالنتائج مهما كانت ، وهذا ليس نوعاً من التفكير لأنّ التفكير لا يفوته أن يوازن بين البدائل ويربط النتائج بالمقدمات ويقارن بين النفع والضرر ، ويفاضل بين المكسب والخسارة .

قل هى جسارة طبع ، مع قوة نفس ، مع صلابه رأى مع مضاء فكر مع يقظة ضمير مع نفاذ عزيمة مع صفاء ربح مع صدق نية .

هذا المزاج النفسى والعقلى والعصبى صادف أو قل كان على وفاق واتفاق من نوع ما مع عقيدة جديدة جامعة لكل الأدوية التى تعالج أدواء الإنسانية ... مع نبى جمع بين جنبيه أشرف وأنبل وأسمى وأرقى وأرقى الصفات التى مكنته من لمس شغاف النفس الإنسانية والاتصال بها من أيسر وأقرب وأوضح السبل ، فإذا النفوس الضالّة هُديتْ ، وإذا الأرواح الحائرة اطمأنتْ، وإذا الضمائر الميتة تسرى فيها حمياً الحياة ، وإذا القلوب الجلمودُ ترققُ وتذوبُ تصدعاً وخشوعاً ، ويستوى القوم أسوياء ، مالكين أزمّتهم وأزمتْ العالمين مع مجتمع خام ظمآن إلى العدل متلهف إلى أن تمزقَ من فوق جسده الواهن العليل أكفانُ الجمودِ ، وسراويلُ الجمودِ والتخلفِ ، ويزحَ عن آذانه وعيونه أختامُ القهرِ والحرمانِ .

مع عالم يستمدُ دينه وشريعته من القوة العاشمة ، ويفرض هواه على الشعوب المهيضة المستعبدة التى تققات ليل نهار بالذلِّ والقمع والاضطهاد .

- عقيدة .
- نبى .
- مجتمع .
- عالم .

عناصر وعوامل تجمعت عن اتفاق ووفاق مع تلك النفس ، وخلقت كائنًا أو ساعدت فى إعادة صياغة وتشكيل كائن ، أقل ما يقال فيه إنه من أعظم العظماء الذين عرفتهم الإنسانية .

## هدف العُمرية:

والعمرية لا تهدف إلى أن ترضى الضمير الإنساني ، فتلك غاية هينة يتوصل إليها الكثيرون ، من خلال استفراغ الجهد والطاقة ، حتى ولو لم تصب نجاحًا أو توفيقًا أو تصل إلى غاية ، هذا في حد ذاته نوع من الجهد والطاقة .

محبوس أو مكظوم لم يُطَلَقْ ، ولم يُحَرَّرْ ، ولم يتَحَّ له الفيضان ليسير إلى غايته محققا أهدافه ... ففي لحظة إطلاق هذا المخزن تتنفس الضمائر الصعداء ... أما النجاح والتوفيق فراحة أخرى .

( العمرية ) تخالف هذا النمط المعتاد والمعروف لبني الإنسان ، ( العمرية ) تجاوزت هذا الأمر ، وتلك الدرجة ، وأصبحت هي الرقيبة على الضمير وهي الباعثة فيه القوة والنشاط إن أصابه شيء من الضعف والفتور .

وصاحب (العمرية) لا يستطيع أن يذهنه من غلوائها ، أو يخفف من اندفاعها أو يحد من سورتها ، لأنها هي التي تملئ بواعث التصرفات ويوافق الأفعال .

" إن الرجل الكبير لا يفخر بأخلاقه قط ، بل هو لا يسأل نفسه : أهى مخلصه أو بعبارة أخرى أقول إن إخلاصه غير متوقف على إرادته فهو مخلص على الرغم من نفسه أراد أم لم يريد " (١) .

لذلك فتلك التصرفات والأفعال تدهش أبناء الزمن الذين عاصروها وتدهش أبناء كل الأزمنة التالية لها .

وأظننى لا أتجاوز القصد وأتعدى الحد لو قلت إن أشد المندهشين من تلك الأفعال والأقوال هو صاحب الطبيعة العمرية نفسه !! .

١- الأبطال - تأليف : توماس كارلاين - (٦٠) .

العمرية في ← رهاب عمر بن الخطاب

وكأنه شخصان ... شخص يخوض فيما يخوض فيه الناس حوله وشخص آخر يرى ما لا يرى الناس ، ويتصرف ويفعل لا كما يتصرف ويفعل الناس حوله . وليس هذا ما يسمى ( بالانفصام الخلقى ) .

فالانفصام شخص يتصرف تصرف شخصين ، كلاهما متدابرا وخلاف الآخر هذا جهة اليمين ونلك جهة اليسار ... ولكن الأمر هنا أن الشخص الثانى يعرج فى مدارج الكمال والسمو والرقى ، يضع أحد قدميه إلى نهاية ما تطمح إليه النفس الإنسانية من تحقيق العدل والخير والحق ، والأخرى يتجاوز بها المطمح الإنسانى بمراحل كثيرة .